أيام مع سعادة «السفير المحظوظ»
الدكتورمحمود علي الداود "رحمه الله"

د. حيدر أدهم الطائي (*)

مقـال

تعرفت على السفير «محمود علي الداود» الذي اصبح في ذمة الله يوم الاحد الموافق ٢٥ حزيـران ٢٠٢٣ عن طريـق الدكتورة حنان القيســي عندما كانت تشغل منصب رئيس قسم الدراســات القانونيــة في بيــت الحكمة, وهي مؤسســة بحثية عراقية عريقــة, وكان الرجل وقتها يشــغل منصب رئيس قســم الدراسات السياسية في المؤسسة ذاتها فشاءت الاقدار ان اتواصــل معه لاحقا عن طريق حضور بعض الندوات التي يقيمها القســم الذي يترأســه او حضوره في الندوات التي كان قسم الدراسات القانونيــة يقيمها بالإضافة الــى تواصلي معه هاتفيا لســبب او لأخر لمناســبات ترتبط كلها بالشأن الثقافي في بيت الحكمة وأنشطته, فهكذا كانت الأمور تسير معي في علاقتي مع «سعادة السفير» وهو اللقب الذي اخبرني سكرتير قسم الدراسات السياســية في بيت الحكمة "الاستاذ علــي" ان الدكتور "محمود علي الداود" يصر علــى مناداته به بعــد ان لاحظ اننــي اكلمه مســتعملا كلمة "دكتور" وقــد نبهني الى ان سعادة الســفير يفضل مناداته بالشكل المذكور فحرصت من يومها على ان ادرب لساني على اســتخدام هذه المفردة عندما التقيه وانا القادم مما تبقى من الوسط الجامعي العريق بأعرافه في بــلاد ما بين النهرين, وقــد نجحت في هذا التمرين مرات واخفقت اضعافها.

في ذلك اللقاء مع "الاستاذ علي" كنت قد ذهبت لبيت الحكمة لكي اهدي نسخة من كتابي الموجز "محاضرات في المبادئ الاساســية للصياغة التشريعية" لمكتبة هذه المؤسسة الثقافية المهمة فــي العراق فضلا عن نســخة اخرى كنت قد

(*) كلية الحقوق - جامعة النهرين

haidar692006@yahoo.com

قررت ان تكون من حصة "سعادة السفير" وبعد مرور عدة اسابيع اتصل الرجل هاتفيا لكي يقدم شكره على هذه الهدية واخبرني انه حاول الاتصال هاتفيا لكنه لم ينجح لان رقم الموبايل الذي كان لديه لم يكن مفعلا, ويبدو انه اتصل بأحد الارقام القديمة التي هجرتها منذ سنوات لكنه استطاع الحصول على احد الارقام المفعلة عن طريق زميلي العزيز الدكتور "هادي نعيم المالكي" وهو استاذ القانون الدولي في كلية القانون بجامعة بغداد فدار حديث بيننا واخبرني انه سيهدي لي رسالته في الماجستير بعد ان قام بطباعتها بكتاب والذي تطرق فيه لجوانب من الثورة العراقية الكبرى "ثورة العام ١٩٢٠" فطلبت منه ان يحدد لي موعدا للقائه لرغبتي في كتابة بعض الصفحات عن عمله الدبلوماسي بصورة خاصة وذكرياته في مجالات الحياة الثرية بالتجارب التي عاشها فانا اعتقد انه يحمل الكثير من الذكريات بحلوها ومرها فماذا قال سعادة السفير المحظوظ "محمود علي الداود" صاحب الشخصية الممتعة في ساعات الموعد التي كنت حريصا فيها على تدوين الحقيقة كما نطق بها مع تثبيت بعض الملاحظات والتعليقات التي اعتقد انها ذات فائدة وهي عبارة عن استنتاجات شخصية تحتمل الخطأ كما يمكن ان تحتمل الصواب, وكنا قد حددنا الموعد يوم الثلاثاء من كل اسبوع حيث طلب مني ان احضر مبكرا لأنه يغادر مكان عمله في الساعة الثانية عشرة والنصف ظهرا اذ يتواجد يومي الاثنين والثلاثاء في مؤسسة بيت الحكمة التي تفوح منها رائحة عطر بغداد العباسية بما لها وهو كثير وما عليها ايضا.

أولا: اللقاء الاول وجوانب من البدايات المهنية للدبلوماسي المحظوظ

استغرقت عملية تنظيم لقاء مع سعادة "السفير المحظوظ" ثلاثة اسابيع تقريبا فعندما كنت اتفق معه على موعد يحصل طارئ ما يحول دون لقائي به, ففي المرة الاولى تعذر اللقاء نظرا للعواصف الترابية التي ضربت عاصمة الرشيد بينما تعذر اللقاء الثاني نظرا لارتباط "السفير المحظوظ" باجتماع مع الرئيس الجديد لبيت الحكمة آنذاك الدكتور "علي حسين ال ياسين" لكنني تمكنت من اصطياد الرجل لتدوين بعض الذكريات يوم الثلاثاء الموافق ٢٠٢٢/٤/٢٦ وهذه هواية تبنيتها قبل بضع سنوات عندها بادرني بالقول بعد ان اثنى على كتابي الموسوم «محاضرات في المبادئ الاساسية للصياغة التشريعية» المهدى اليه وبشكل خاص تلك المقدمة التي وضعتها له قائلا: «انا دخلت عالم الدبلوماسية من خلال اطروحتي للدكتوراه فعندما تخرجت تعينت بكلية الآداب والعلوم بجامعة بغداد عام ١٩٥٧, وكان الدكتور «عبد العزيز الدوري» عميدا للكلية وقتها ويحرص على الدوام فيها صباحا ومساء, وكنا معه كذلك, فقد كان يذهب الى

وزارة المعارف ويطلع علـــى اضابير الطلبة ويحتكر لنفسه الجيدين منهم عن طريق تعينهم في الكليـــة التي هو عميد فيها, وقـد تمثل هذه الممارســة جانبا مهما من ســعي هؤلاء العلماء البارزين والاساتذة الاجلاء الى بناء دولة قائمة على المؤسســات في الفترة الملكية وفعلا لقد كانت الكثير من المشاريع المهمة للعراق نتاج جهــود مجلس الاعمار» على حد تعبير ضيف هذه الصفحات.

امـــا البدايات مع عالم الدبلوماســية لســعادة «الســفير المحظوظ» وهذا وصف اطلقه هو على نفســه لأنه تمكن من الدراسة في عدد من الجامعات المرموقة سواء في الولايات المتحدة الامريكية فهو خريــج جامعتي جون هوبكنز وهارفرد او في المملكـــة المتحدة حيث درس بجامعة لندن, فقد كانت عندما اراد اشهر رئيس وزراء عراقي في العهد الملكي "نوري السعيد" ان يقــوم احــد الخبــراء او المختصين بتقديم تصــورات عن الاوضاع فــي امارات منطقة الخليج العربي, والدور البريطاني فيه, فجرى ترشيحه من جانب وزير المعارف وقتها "عبد الحميد كاظــم" في وزارة عبد الوهاب مرجان "كانــون الاول ١٩٥٧ – تموز ١٩٥٨" للقيام بهذه المهمة. يقول سعادة "السفير المحظوظ " بأسى واضح ان البريطانيين كانوا ينظرون الى شيوخ الخليج العربي واهله الكرام نظرة دونية, وان وزير المعارف اعطاه مبلغ مائة وخمسون دينــارا مع بطاقة ســفر وكتــاب ايفاد تم تزويد مجلس الوزراء بنســخة منه, وطلب منه البقاء هناك لمدة شهر واحد.

يستطرد "الســفير المحظوظ" في حديثه قائلا: انه قرر عدم الاتصال بالسفارة البريطانية في بغــداد حتى لا يكون تحت نفوذهم باي شــكل من الاشكال مفضلا الاستعانة بالعراقيين لكي يتمكن من اقامة نوع من الاتصالات مع شيوخ الخليج العربي فكان اللقاء مع الدكتور "ابراهيم شــوكت" المتزوج من اخت مناضل فلسطيني شــارك في ثورة العام ١٩٣٦ اسمه «درويش المقــدادي», وكان قوميــا يعمــل فــي مجال المعــارف بالكويت ففتح له الافاق حيث عرفه الى «فيصل السامر» الذي اصبح وزيرا بعدها في العراق, وكان يعمــل معلما بالكويت, كما قدم الدكتور عبد العزيز حسـين وهو شــخصية كويتية معروفة يد المســاعدة له عندما بقي في الكويت لمدة اســبوع واحد إصطحبه الدكتور «درويش المقدادي» اثنائه الى "عبدالله السالم" قائلا: «ال..... مالتكم ينزلون بدار الضيافة, والدكتور محمود نازل بفندق البحرين بدينارين على حسابه.»

كانت ســفرتي الــى الكويت يقول "الســفير المحظــوظ" مفتاح اللقاء ببقية شــيوخ منطقة الخليج العربي لانهم اي شــيوخ الكويت امنوا له الاتصال بشــيوخ الخليج الاخرين, وعندما رجعــت الى بغداد قدمت تقريري الذي تضمن تصوراتي عن مســتقبل هذه المنطقة من العالم ومــدى امكانية فتــح ممثليــة عراقية ووضع

بريطانيا هناك فدعاني "نوري السعيد" بصفة شخصية كي التقيه وعندما تم اللقاء بادرني بالقول "شدعوه مسوي التقرير عشرين صفحة ؟؟ الي يهمني اربعة سطور قلت فيها ان بريطانيا ستنسحب خلال عشرين سنة فمن سيحل محل بريطانيا ؟ وان ايران هي المرشح البديل فهل فكر العراق ان يكون هو البديل عن البريطانيين وبمساعدة بريطانيا اذا اقتضى الامر؟

ان هذه الحادثة تبدي دقة ملاحظة العقيد الانكليزي "جيرالدي غوري" الملحق العسكري في السفارة البريطانية ببغداد عندما سطر في كتابه "ثلاثة ملوك في بغداد" الكلمات الاتية التي تعكس عدم ميل الباشا العراقي "نوري السعيد" قراءة الاضابير حيث يقول: (لقد قلت عن نوري السعيد أنه لم يكن يقرأ الأضابير, فأكرر القول ان هذا الامر كان واقعا حقا, فهو يأتي ليعرف ما يريد معرفته عن أي موضوع, بطريقة طرح الأسئلة على أولئك الذين يفهمونها أحسن من غيرهم....)[١]

يقول الدكتور «محمود علي الداود» ان نوري السعيد اهتم جدا بالجملة الاخيرة, وهو رجل دولة بكل المقاييس بل انه كان اهم رجل دولة بالمنطقة في ذلك الوقت. وفي سياق الكلام المتقدم «للسفير المحظوظ» اقول ان قناعات الرجل مستمدة من دراسته للعلاقات السياسية وتطورها وتداخلها مع جوانب من المنافسة الاقتصادية في المنطقة حيث تصارعت دول كبرى في الفترة التي سبقت انتهاء الحرب العالمية الاولى في العام ١٩١٨ فقد كانت بدايات المهمة التي اوكلت اليه من جانب رئيس الوزراء العراقي «نوري السعيد» مبنية طبقا لتصوراته على الذهاب الى الكويت ربما لأنها الاكثر ارتباطا بالمملكة العراقية على كافة المستويات الرسمية والشعبية, فالعراقيون والكويتيون في حقيقة الامر شعب واحد, فضلا عن امكانية ان تلعب دورا في تعارفه مع باقي شيوخ الخليج العربي الامر الذي يشكل عاملا مضافا للخطوة الاولى المذكورة, وهي عامل مستمد بكل تأكيد من استنتاجه الذي اشار اليه في كتابه الموسوم «الخليج العربي والعلاقات الدولية ١٨٩٠ – ١٩١٤» الذي اهدى نسخة منه لي عندما زرته للمرة الاولى في بيت الحكمة لتدوين هذه الصفحات حيث ذكر الاتي: (قبل اكتشاف النفط في الكويت كانت الدول المعظمة وخاصة في الفترات الاخيرة من القرن التاسع عشر تتنافس للسيطرة على موقعها الجغرافي الممتاز. وقد حدثت مناقشات ومراسلات طويلة حول عائدية الكويت بالنسبة للظروف الدولية. وليس هناك شك من الناحية التاريخية بان شيوخ الكويت اعترفوا بالحماية التركية اثناء حملة مدحت باشا لإخضاع امير نجد سنة ١٨٧١ وقد رفع الشيخ الكويتي العلم العثماني على قصره وكان عاملا مهما في تقريب الاتراك الى امراء الساحل العربي من الخليج).[٢] ومع التسليم بصحة الاستنتاج

المذكـــور فرضا فـــان الســـؤال المطروح في ســـياق المعنى المتقدم يتلخـــص بمدى درجة صحة ان ينظر العراق الى علاقاته مع الكويت باعتبارها المدخـــل الى علاقات جيدة مع باقي دول الخليج العربي ؟ وهل ســـيؤثر بناء ميناء الفاو الكبير بل وحتـــى ميناء مبارك على هذه العلاقات باتجاهات سلبية الى حد ما او ايجابية كذلك اذا اخذنا بنظر الاعتبار, وفقا لتصور او استنتاج اول مفاده, ان بناء المينائين المذكورين قد يؤثران ســـلبا على حركة الموانئ البحرية الاخـــرى الموجودة في الخليـــج العربي طبقا لما يحاول البعض اشـــاعته مـــع ملاحظة ان قضيـــة بناء ميناء الفاو الكبير وتأمين متطلبات انجاحه باعتباره مشروعا استراتيجيا وجوهريا للعراق وللمنطقة والعالم ايضا من المسائل غير الخاضعة للنقاش او للمساومة لا من قريب ولا مـــن بعيد طبقا لوجهة النظـــر العراقية كما ان الالتفاف على أهمية هذا المشـــروع للشـــعب العراقي لن يكون أمـــرا مقبولا بالمطلق نظرا لحاجة ملايين العراقيين اليه.

ثانيا: اللقاء الثاني وبعض المحطات المرتبطة بالعمل الدبلوماسي

تم هذا اللقاء يوم الثلاثاء الموافق ٢٠٢٢/٦/٢٨ في مكتب ســـعادة الســـفير المحظوظ بقســـم الدراسات السياسية في بيت الحكمة وقد اخبرني انه كان مستشـــارا للثـــورة العمانية التي قادها "الامام غالب بن علي" ضد الســـلطان "سعيد بن تيمور" في العام ١٩٦٤ وان عمله كله كان من باب دعم حركات التحرر سواء في جنوب اليمن "عدن" والجزائر وتونس والمغرب, كما انه عمل من خلال الدبلوماســـية العراقية على تأكيد عروبة البحرين في مواجهة ايران بمحافل دولية متعددة, وقدم مقترحات في العام ١٩٦٥ لتنميـــة الامارات الفقيرة «يقصد الامارات التي تشـــكلت منها دولـــة الامارات العربيـــة المتحدة ودولـــة قطـــر في وقت لاحـــق» وخلال عمله قابـــل الملك فيصل بن عبد العزيز ال ســـعود ملك المملكة العربية الســـعودية, وهو يعتقد ان هنـــاك اربعة ملوك مهمين جـــدا تبوؤا عرش هذه المملكة وهم كل من الملوك "عبد العزيز, وفيصل, وعبدالله, وســـلمان» وبالتحديد الملك ســـلمان لأنه عمل كثيرا في الادارة عندما كان اميرا لمنطقة الرياض مدة تتجاوز العشـــرين عاما. وتبدو هنـــا عملية التقييم واضحة لرجل تجاوز الثانية والتسعين من عمره امضاه وسط تقلبـــات العالم في ميدان السياســـة الامر الذي يعكـــس فهمه للدور الهادئ الـــذي يلعبه الملك سلمان في توجيه مصير بلاده في هذه المرحلة الحرجة التي يشهد العالم فيها تشكله من جديد.

واقول بخصوص ما ذكره "السفير المحظوظ" في حق الملك سلمان انني لاحظت هذا التوجه المبنـــي على عدم التعرض لمن يشـــغل موقعا فـــي الســـلطة على وجـــه العموم مـــن جانب الدبلوماســـيين العراقيين عندما توجد مناســـبة او ســـبب يســـتدعي تقديم وجهـــة نظر عنهم,

وما كنت اسمعه منهم لا يتعدى مطلقا كلمات الاطراء سواء كانوا يستحقونها ام أنهم بعيدين عن الاوصاف الايجابية التي يحاول هؤلاء الدبلوماسيون الصاقها بهم. والحقيقة انني لم اتمكن من تلمس اتجاهات قناعاته بخصوص موقفه من الانظمة الملكية من جهة والانظمة الجمهورية من جهة اخرى فهل كان الرجل يؤمن بما عبر عنه جمال عبد الناصر عندما قال "الاستعمار لا يوجد في القواعد العسكرية فحسب بل يسكن في قصور الملوك والسلاطين" ام انه كان مؤمنا بفحوى المثل الشركسي الذي يقول "ان الثور لا يصبح ملكا بمجرد دخوله القصر, ولكن القصر يتحول الى حضيرة"

ومن الحوادث الطريفة التي مر بها يقول الدكتور محمود علي الداود انه عندما كان سفيرا للعراق في تركيا ذهب لتقديم أوراق اعتماده أمام الرئيس التركي "جودت صولاي» وقبل اللقاء به اخبره موظف التشريفات «البروتوكول» انه عندما ينتهي من استعراض حرس الشرف فأن عليه الالتفات الى مجموعة الحرس وقول كلمتين تركيتين هما "مرحبا حرس» !!! وباب الطرفة ان الكلمتين عربيتين خالصتين مما يعكس التداخل الكبير بين اللغتين العربية والتركية والمشترك الثقافي المميز والعميق بين العرب والاتراك.

وبخصوص رأيه في "عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف وعبد الرحمن عارف" قال انهم كانوا وطنيين, وأبقوا على الكادر الدبلوماسي القديم الموجود في وزارة الخارجية لكنهم متمسكين بالسلطة الى أبعد الحدود, وان عبد الكريم قاسم دخل في السياسة وفشل لأنه لم يكن سياسيا. أما صدام حسين ففي زمن حكمه بدأت عملية تصفية الكادر القديم في وزارة الخارجية, وان اخفاقاته أكثر بكثير من انجازاته, كما ان اخفاقاته هي التي ضيعت العراق لأنه كان «دكتاتورا مستبدا لا يريد ان يسمع الا رأيه, وهو رجل الحرب والسلم" وهو المسؤول عن كل هذه المشاكل حتى اليوم, وهو الذي أضاع فرصة العراق للتقدم, كما أنه قضى على العناصر الجيدة في حزب البعث العربي الاشتراكي "ذكر هذا الوصف بحزم واضح وبلهجة صارمة» ولكي يكتمل هذا المشهد فإنني اقول ان سعادة السفير المحظوظ كان رجلا محترفا في عالم الدبلوماسية التي تأخذ بنظر الاعتبار متطلبات المرحلة السياسية التي يعيشها الانسان وتتأقلم معها البلدان.

أما وزراء الخارجية الجيدين طبقا لوجهة نظره فقد أشار الى كل من "عبد الرحمن البزاز, وعدنان الباججي, وهاشم جواد» فهؤلاء تركوا لكادر وزارة الخارجية مجالا للعمل وكانوا متواضعين, وقد لاحظت أنه غالبا ما يربط تقييماته الايجابية للأشخاص بجهة تعليمهم التي غالبا ما تكون من جامعات أجنبية رصينة جدا, الا أنه كان يعتبر جامعة بغداد جامعة عالمية رصينة ايضا حيث كان هناك عدد كبير نسبيا من الطلبة الأجانب الذين يدرسون في كلياتها

المختلفــة الا أن الأمر تغيــر الان كثيرا نظرا لتدهــور قطاع التعليم وعــدم اهتمام الدولة به فضلا عن تدنـــي الدافعية نحو التعليم وضعف رغبة الجيل الحالي رغم توافر امكانيات متعددة للتعلم, ومن باب التجربة الشــخصية التي مر بها اخبرني أنه كان يعمل على اعداد عروض للكتب التي تعالج شــأنا عربيا تذاع من خلال هيئة الاذاعــة البريطانية ((BBC عندما كان طالبا في بريطانيا بخمسينيات القرن العشرين.

وفيما يتعلق بأســرة الدبلوماسي وما يجب أن تكــون عليه, ففــي الظروف التــي عمل فيها كســفير للعراق يعتقد "الســفير المحظوظ" ان زوجة الدبلوماســي يجب أن تكون بمســتوى الزوج مــن جهة الثقافة, كمــا يجب ان تكون متمســكة بالتقاليد السائدة في بلدها لكي تعكس اخلاقيــات المجتمع الذي تنتمــي اليه وتمثله فضــلا عن ضرورة أن تكــون أنيقة وكريمة, وهي مــن المتطلبات التي يجــب أن تتوافر في الدبلوماسيين. ونضيف الى ما تقدم ضرورة ان تجيد زوجة الدبلوماســي اعداد اشهر الاطباق فــي بلدها حيث يتحدث الكثيرون من المهتمين بعالم الدبلوماسية عن "دبلوماسية المعدة" التي يلعــب الطعام فيهــا دورا تاريخيا في مجالات العلاقات الرســمية والمفاوضــات والتبادلات ذات الطابع الثقافي بين الــدول المختلفة حتى ان رئيس الوزراء البريطاني السابق "ونستون تشرشل" اعتبرها احدى الادوات الاساسية في ميدان استعراض القوة والتأثير في المناقشات مع صناع القرار الدوليين, حتى اننا نجد تأكيدا من جانب احد الكتاب يؤشر فيه العدد المتزايد من مبادرات «دبلوماســية المعدة» التي تبرز من خلالها قيمة الطعام في العلاقات الدبلوماسية والتــي اصبحت واضحة للعديد من الحكومات بصورة تتجــاوز مصلحتها فــي الترفيه عن الضيوف «ويمكن للسلطات الوطنية استخدامه لجعــل بلد ما اكثر وضوحا في المشــهد الدولي حيث ينجذب عشــاق الطعــام والمهنيون بشكل متزايد الى التفرد والاصالة حتى اصبح البعض مهوســا بها, وذلك كرد فعل على التنميط الذي يشــعر الكثيرون انه يأتي مــع العولمة" فهل يمكن لزوجة الدبلوماســي ان تبرع في اعداد الاطباق التقليدية الشــائعة فــي بلدها الى الحد الذي تتجاوز فيه المهارة المعترف بها للرئيس الامريكي الاسبق "ريتشــارد نيكسون" عندما اســتخدم العيدان في تناول الطعام اثناء مأدبة العشاء التي اقيمت في العام ١٩٧٢ مع رئيس الوزراء الصيني "تشــو إنــلاي» وهي مهارة نادرة جدا بالنســبة لشــخص ينتمي الى عالم الغرب مثل "نيكســون" ومع اهمية ما تقدم من وجهة النظر الدبلوماسية الخالصة, ومع ايماني الكبير الذي ما زال راســخا بأهمية دور المرأة فــي كافة مجــالات الحياة, ما زلــت اعتقد "ان اشهر الطباخين في العالم هم من الرجال"!!!

حقــا ان جانبا مهما مما له صلة بالطعام يعكس مســاحة حتى وان كانت متواضعة من مفهوم "الهيمنة الثقافيــة" وهي نظرية موضوعة من

جانب المفكر الايطالي الماركسي "انطونيو غرامشي» بمعنى النجاح الذي تحققه الطبقة المسيطرة في تقديم تعريفها للواقع المعاش وفي طرح نظرتها للعالم وفي تقديم تصوراتها لجوانب من تفاصيل الحياة على النحو الذي تكون فيه مقبولة لدى الطبقات الاخرى في المجتمع بوصفها امرا بديهيا غير قابل للنقاش حيث يصبح الاجماع العام هو ان تلك النظرة او التصور ستعد وسيلة الخلاص الوحيدة لرؤية العالم ولا تترك اية مساحة لتقديم نظرة مغايرة, وان تحققت مثل هذه النظرة المغايرة فسيجري تهميشها, وعندها ايضا تصح القاعدة الاجتماعية المعبر عنها من جانب عالم الاجتماع "ماكس فيبر" حيث يقول "ان النظام الذي يلتزم به بدوافع النفعية المحض اقل استقرارا بكثير من النظام القائم على قاعدة عرفية خالصة تنبع من حقيقة ان السلوك المعني قد اصبح عادة" والمقولة الاخيرة تعبر عن الغلبة للعناصر غير المادية في حياة الانسان بمواجهة العناصر المادية وربما لدور الاعتبارات التاريخية المبنية على احترام الانسان اينما وجد "لجلال القدم» وصولا الى مرحلة التقديس لمفاهيم او عادات او اشخاص قد لا يتمتع أي منهم بهذا القدر من الاحترام وفقا للمعايير الموضوعية لكنها الحياة تعطي وتأخذ كيفما تشاء!!!

ومن الحوادث التي مرت به عندما كان يعمل سفيرا للعراق في تركيا يقول الدكتور "محمود علي الداود" "اتصل بي أحد أفراد الشرطة الأتراك في الساعة الثانية بعد منتصف الليل وأخبرني أن هناك طبيب عراقي مع زوجته وطفلتهم التي لم تتجاوز الأربعة أشهر من عمرها تعرضوا لحادث سير حيث سقطت سيارتهم بأحد الوديان في أجواء سيطر عليها تساقط كثيف للثلوج وقد أصيب الزوج والزوجة اصابات بالغة, ولمعالجة الموقف اتصل فورا بوزير الصحة التركي, وكانت له علاقات طيبة معه الذي أرسل فورا سيارة اسعاف الى مكان الحادث وتم ادخال المصابين الى المستشفى بالسرعة الممكنة وأجريت لهم امكانيات العلاج المتاحة في حين أخذ البنت الصغيرة معه الى محل اقامته» وهذه حادثة تعكس ضرورات وجود علاقات واسعة وطيبة للسفير في الدولة التي يمثل بلده فيها لأنه سيحتاج الى هذا النوع من العلاقات في أوقات معينة, وربما يكون متطلب بناء علاقات جيدة للسفراء شاملة للمستوى الشعبي وليس المستويات الرسمية فقط الامر الذي برع فيه كل من السفير الياباني السابق في العراق «فوميوإيواي» والسفير البريطاني السابق في بلاد ما بين النهرين «ستيفن هيكي».

والحقيقة أنني لاحظت جوانب من شخصية الرجل كدبلوماسي ولمرات متعددة من خلال حديثي معه فهو لا يتعرض لأصحاب السلطة أو من هم على رأس السلطة في بلدانهم, واذا تعرض لهم فيذكر جوانب ايجابية حصرا رغم أنني حاولت ان أسحبه للاتجاه المذكور, كما

أنه يربط كفاءة الدبلوماسيين العراقيين بدرجة رصانة الجامعات التي تخرجوا منها ليعكس بذلك جانبا من قناعات كانت قائمة في العراق تربط العمل والمنصب بالمؤهلات والكفاءة الى حد كبير الامر الذي اصبحنا نفتقده في العراق الذي نعيش فيه, وهو العراقي الفيدرالي الذي يدار وفقا لدستور العام ٢٠٠٥ المنتهك من جانب واضعيه والذين لم ينجحوا مطلقا بالخروج من رعب مرحلة المعارضة السياسية التي عاشوا خلالها اجواء المنافي البعيدة في مشارق الارض ومغاربها , كما ان سعادة السفير المحظوظ في مجمل تقييماته المتنوعة وآرائه المختلفة غالبا ما كان يطرح نظرة تغطي اكثر من جانب للشخص او الموقف الامر الذي يجعل من هذه التقييمات متسمة بنوع من العمومية فهو في الغالب لا يحرق مراكبه كما فعل طارق بن زياد عندما عبر الى الاندلس لفتحها اللامع والمجيد ربما لان متطلبات من يتعاطى في الشأن السياسي تختلف تماما عن متطلبات العمل العسكري.

أخير اقول ان مؤسسة بيت الحكمة التي تتخذ مقرا لها في عاصمة العباسيين قرب قصر من قصورهم نظمت يوم الاثنين الموافق ٢١/٨/ ٢٠٢٣حفلا تأبينيا لسعادة السفير المحظوظ الذي توفي "رحمه الله" وهو يشارك في احد انشطته بقاعة من قاعاتها حيث حظر الحفل المذكور رئيس الجمهورية فضلا عن وزير الثقافة والدكتور محمد الحاج حمود وسفير كل من دولة فلسطين وسلطنة عمان وجمع من المحبين للرجل وهكذا هي الحياة حيث كل شيء يمضي لنفس المال الليالي وعاديات الليالي والمحبون والخليون والعذال.

الهوامش

١- مشار الى ذلك في كتاب الصحفي العراقي أحمد فوزي, ١٢ رئيس وزراء عراقي حكايات سياسية وصحفية, الطبعة الأولى, مطبعة دار الجاحظ, بغداد, ١٩٨٤, ص ٣٥.

٢- مجمود علي الداود, الخليج العربي والعلاقات الدولية ١٨٩٠ – ١٩١٤, الطبعة الاولى, دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع, بغداد, العراق, ٢٠١٧, ص ١١٣.